مجلة..هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية..

المجلد. 05 / العـــدد: 03. (2021)، ص177- 196

تراجيديا مجازر8 ماي 1945في قالمة من خلال ريبورتاج للصحيفة الوطنية "المساواة " " Égalité

Tragedy of the 8 May 1945 massacres in the Guelma region, according to the report of the nationalist newspaper "Egalité"

مفيدة سكفالي*

جامعة 8 ماي 1945– قالمة

moufida24sekfali@gmail.com

تاريخ الاستلام :13./..05./...2021 تاريخ القبول: .01/.10./.2021

ملخص :

نتناول في هذا المقال القصة المأساوية لمجازر ماي 1945 في منطقة قالمة، بالاعتماد على ريبورتاج نشر في شكل سلسلة من المقالات في الصحيفة الوطنية المساواة سنة 1947، أي سنتين بعد وقوع الأحداث، الريبورتاج من صياغة عبد القادر سفير عميد الصحفيين الوطنيين، وقد اعتمد فيه على رواية أحد الشهود الذي عايش الأحداث، يقدِّم لنا الريبورتاج قصة الأحداث بداية من الأجواء العامة التي خيمت في المدينة قبل المؤامرة، ثم رواية الأحداث المأساوية، ويقدِّم تفاصيل حول عمليات القتل الجماعي وكيفية وقوعها ونشاط الميليشات، مع ذكر المسؤولين الاستعماريين عن المجازر.

كلمات مفتاحية :

قالمة، المليشيا، مجازر ماي 1945، أشياري، عبد القادر سفير

Abstract:

This article focuses on the tragic history of the massacres of May 1945 in the Guelma region, based on a report published by the nationalist newspaper equality in a series of articles, two years after the events, this report was Written by Abdelkader Safir, dean of Algerian journalists, Safir referred to one of the witnesses who survived the massacres by a miracle, the report gives us clarifications of paramount importance on the general context that prevailed on the eve of the events , details on executions Summaries, on the role played by the civil militia, and even gives us the names of the colonialist executioners, responsible for the genocide.

Key words:

Guelma, massacres 08 Mai 1945, the militia, Abdelkader Safir, Achiary.

*المؤلف المرسل : أ / مفيدة سكفالي

مقدمة:

رغم مرور أكثر من 75 سنة على أحداث ماي 1945 إلاَّ أنها لا تزال تحتاج إلى البحث والإثراء، ويظهر أن الأرشيف المفتوح للقراء لا يقدِّم إضافة كبيرة لمعرفتنا التاريخية بالأحداث، خصوصاً من جانبها الجزائري، والإشكال المطروح أنَّ الأحزاب الوطنية لم يقم أي منها بتحقيق حول الأحداث لتغطية ذلك النقص، لذلك تظل الصحافة المكتوبة ساعة الحدث أو بعد فترة قصيرة من وقوعه مصدر من شأنه أن يثري معرفتنا التاريخية بالأحداث، غير أن الصحف الاستعمارية قدّمت صورة مشوه ومنقوصة للأحداث، بينما كانت الصحف الوطنية ممنوعة من النشاط، ومع ذلك فبعد عودتها بداية من أوت 1946، حاول البعض منها أن يميط اللثام على جوانب من الأحداث، وذلك ما قامت به صحيفة المساواة فيما يخص قصة الأحداث في قالمة.

2.التعريف بصحيفة المساواة(Égalité) :

تأسست المساواة قبيل نهاية الحرب العالمية، أي خلال ظرف حافل بالأحداث وطنياً ودولياً، وتمثلت أهم تلك الأحداث في توجه الحرب العالمية نحو نهايتها بانتصار الحلفاء، وعلى الصعيد الوطني عرفت تلك الفترة إنزال الحلفاء في 8 نوفمبر 1942، وصدور بيان فيفري 1943 المتبوع بتأسيس حزب أحباب البيان والحرية(مارس 1944)، وإلقاء الجنرال ديغول لخطاب في قسنطينة وعد خلاله بإصلاحات لمصلحة الجزائريين، مما شجع الحركة الوطنية على النشاط أكثر لتحقيق مكاسب وفق مبادئ بيان الأطلسي، خاصة بالنظر إلى مشاركة الشباب الجزائري في تحقيق النصر على النازية، إلاّ أن أمرية ديغول لـ 7 مارس 1944 لم ترق إلى مطالب البيان، مما جعل الحركة الوطنية تصعِّد من مطالبها، وتجلّى ذلك في مؤتمر حزب البيان في مارس 1945 والذي طالب بتحرير مصالي والمعتقلين السياسيين، وبالاعتراف بالألوان الوطنية، وإقامة برلمان وحكومة جزائرية.

في خضم تلك التطورات الدولية والمحلية كانت المساواة الصحيفة الوطنية الوحيدة التي تصدر في كامل الجزائر، لذلك كانت المعبّر الوحيد عن آلام وآمال الجزائريين، مثّلت المساواة صحيفة نضال وطني، تأسست في 14 ديسمبر من سنة 1944، وعنوانها الفرعي: "مساواة الناس والأعراق والشعوب"، وهي لسان حال حزب أحباب البيان والحرية(AML) الذي كان يسعى للدفاع عن مصالح الجزائريين والوصول إلى تحقيق المساواة الكاملة بين سكان الجزائر، وذلك يعني إلغاء النظام الاستعماري الذي يقوم على التمايز العنصري بين المستوطنين و"الأهالي"، وكان مديرها السياسي السيد فرحات عباس ورئيس تحريرها عبد العزيز قسوس[1].

[1]محمد الهادي كسوس، ولد في 25 جوان 1903 في القلعة بسكيكدة ، درس الحقوق في جامعة الجزائر وثم جامعة باريس، كان أميناً عاماً لودادية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا(AEMAN) ما بين 1923-1924، عضواً مؤسساً لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا(AEMNAF) سنة 1927، انضم إلى الحزب الاشتراكي(SFIO) ما بين 1931-1940، ساند مشروع بلوم فيوليت وكان خلالها يحرر صحيفة الوفاق، قبل أن يصبح محرر وهران الجمهورية ومشارك في صحيفة الأخوة(fraternité)، شارك في صياغة بيان فيفري 1943، وأصبح محرر لصحيفة المساواة لسان حال أحباب البيان، سيناتورفي مجلس الجمهورية سنة 1948 باسم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، أمين عام لمجموعة النواب المسلمين 61 المستقيلين من المجالس الفرنسة سنة 1955، بعد 1956 انقطعت اتصالاته مع فرحات عباس، أصيب بداء السل، انتقل للعلاج في فرنسا سنة 1957 توفي بباريس في 13 ماي 1965.

وقد عرف فرحات عباس عدة صعوبات لأجل تأسيسها، فطلب الاعتماد قُدِّم في جويلية من سنة 1944 والاعتماد كان في سبتمبر 1944، كانت تصدر في 4 صفحات(ثم8 صفحات) وتعاني من نقص الورق، لأن الحكومة العامة لم تكن تمنح لها كميات كبيرة، ورغم مختلف المصاعب التقنية إلا أن حماسة هيئة التحرير حطمت كل العقبات، فكانت الهبات تأتي من كل مكان، والورق يشترى من السوق السوداء، والمراسلين المتطوعين يرسلون المقالات من كل النواحي، مما زاد من انتشارها على المستوى الوطني ورافق ذلك ارتفاع في مبيعاتها التي انتقلت من 15000 نسخة في بدايتها[2] إلى 30000 لتصل إلى 130000 نسخة، وهي كمية كبيرة مقارنة بغيرها من الصحف في ذلك الحين وبالنظر أيضاً إلى إمكانياتها المتواضعة. وكانت عمليات التوزيع تتم رغم مراقبة الشرطة ويتكفل بها مناضلي حزب البيان.

كان عباس يكتب في أعمدتها خاصة الافتتاحية، معبّر عن روح مبادئ البيان الجزائري، و مبشر بانقضاء العهد الاستعماري، فحسبه فإن ثورة 1789 ولدت دولاً جديدة وذلك رغم رجعية مؤتمر فيينا إلاّ أن مبدأ القومية تجاوز الإطار الأوربي، فإن الثورة الجديدة (نهاية الحرب العالمية الثانية) نذيرة بخلق الدول المستقبلية.[3] وأحياناً كان يوجه رسائل إلى السكان المعمرين، الذين من دون شك ـ حسب قوله ـ لاحظوا أن جزائر اليوم ليست كجزائر الأمس، فهم يرون حركات شعبية وعلامات التذمر التي لم يراها آباؤهم، وهذه نتيجة غير متوقعة لهيمنتهم، ناتجة عن يقظة الضمير الوطني عند أمثال مصالي الحاج، والضمير العمالي ومعاني الكفاح الطبقي لدى أمثال أوزقان وكسوس. من الممكن أن تقوم أوربا بتحويل كل المستعمرات إلى سجن كبير، ولكنها لن تتمكن من منع الرجل المستعمَر من الكفاح لأجل حقه في الحياة والسعادة والحرية، وبالتالي ليست وطنية مصالي التي يجب محاربتها، ولكن يجب تصحيح الوطنية الأوربية.[4]وعبَّر عبد العزيز كسوس عن الإرادة العميقة في أن لا يتم إقصاء الجزائر ضمن خريطة العالم الجديد المتولد بعد الحرب، فالجزائر تنتظر أن تقوم بثورتها الداخلية، الأمة الجزائرية موجودة في قلوب الجزائريين يكفي فقط إخراجها، وتحويلها إلى واقع مجسد في مؤسسات.[5]

لم تتمكن المساواة من الاستمرار في الصدور، ذلك أنّه بعد أحداث ماي 1945 الدموية وموجة القمع التي لحقت الحركة الوطنية تم حل حزب أحباب البيان وسجن قيادته ومنع كل أشكال نشاطه، لذلك منعت المساواة منذ ذلك الحين عن الصدور، فكان آخر عدد تصدره لسنة 1945 هو العدد 33 الذي حمل تاريخ 04 ماي 1945.

واثر الإفراج عن فرحات عباس أياماً بعد صدور قانون العفو عن المعتقلين السياسيين لمارس 1946 قام ببعث المساواة من جديد، وأصدر عددها 34 في 23 أوت سنة 1946 وهو عدد مهم لأنه مخصص بالكامل لأحداث 8 ماي 1945. وأصبحت الصحيفة تصدر باسم حزب الاتحاد الديمقراطي

---

[2]) ANOM (Aix En Provence), 8CAB/98. Préfecture d'Alger, centre d'informations et d'études.
[3]) Egalité, 22 Septembre 1944.
[4]) Egalité, 10 Novembre 1944.
[5])Egalité, 28 Septembre 1944.

للبيان الجزائري(UDMA) بعنوان فرعي لسان حال بيان الشعب الجزائري، وبداية من 18[6] جوان 1948 تحول عنوانها إلى: "الجمهورية الجزائريةRépubliqueAlgérienne"، ويعبّر ذلك حسب فرحات عباس عن مطلب حزب البيان بتأسيس جمهورية جزائرية وحتى لا يفهم المستعمر بأن مطلب البيان هو مجرد "المساواة"[7]، فهذه الجمهورية سيتم إعلانها بالاتفاق مع فرنسا عن طريق التفاهم المتبادل ولأجل مصلحة البلدين، أو بدون فرنسا في جو من الحقد والطلاق، في كل الأحوال سيتم إعلانها، لأن الدولة الجزائرية هي الصيغة المستقبلية، ولا يمكن لأية قوة في العالم أن توقف مسيرة التقدم والمسار الطبيعي للتاريخ. سيتم الانتصار على النظام الاستعماري الذي تولّد في دم العديد من فلاحينا، وهو من دون شك سينتهي في دم هؤلاء الأبرياء. ولكن في كل الأحوال سينتهي، سيموت لأنه يحمل في طياته بذور فناءه [8]. وتزامن هذا التحول مع تغير في مديرية التحرير التي انتقلت من عبد العزيز كسوس للأستاذ أحمد بومنجل، وفتحت الجريدة صفحاتها لمساهمة العديد من الأقلام مثل: أحمد بن زادي، قدور ساطور، أحمد فرنسيس، مالك بن النبي، فرنسيس جوسون، علاوة عباس، مصطفى بشير، علال سعدون وغيرهم، مما أدى إلى تنوع محتوى أعمدتها.

3.تقديم المادة الوثائقية :

بالنظر إلى أنّ تعرض الصحف الوطنية لأحداث الانتفاضة كان بعد مدة من حدوثها(كونها كانت ممنوعة خلال فترة الأحداث)، و نظراً للحصار الإعلامي المفروض من قبل السّلطات الاستعمارية، لم تتوسع الصحف الوطنية في سرد حيثيات وتفاصيل عمليات القمع، هذا إذا استثنينا صحيفة المساواة(Egalité) التي أولت اهتماماً خاصاً بالأحداث ليس فقط بتصوير الجوانب البشعة منها واستخلاص الدروس خدمة للقضية الوطنية، بلّ لأنها قامت بنشر سلسلة من المقالات في أعدادها الممتدة من 89 إلى 97 (من 15 أوت إلى 03 أكتوبر 1947)، وجاءت في شكل روبورتاج مطول عن قصة الأحداث في مدينة قالمة، استهدفت من خلاله الرد على أكاذيب الصحافة الاستعمارية،والوصول إلى إدانة المجرمين الاستعماريين وعلى رأسهم ليسترادكاربونيل والي قسنطينة وأشياري رئيس دائرة قالمة وقادة الميليشيا الذين قدم العديد من أسمائهم، وهم كانوا حينها يعيشون حياة عادية ويتجولون في الشوارع وكأن شيئا لم يحدث.

قام عبدالقادر سفير[9] الصحفي اللامع في المساواة–والذي كان عضواً نشيطًا في حركة أحباب البيان–بتحرير ذلك الروبورتاج عن شاهد عيان لم يذكر اسمه بل أشار إليه بحرفين(H–K)والذي كان ضحية للقمع ونجا من الموت "بمعجزة"، فقام برواية يوميات الرعب والموت التي عايشها.

---

[6]

[7]République algérienne, 25 juin 1948.

[8]Voir République algérienne, le N°221 du 8 avril 1948, et le N°268 du 8 juin 1951 (éditorial).

[9]عبد القادر سفير ولد سنة 1925 بالمدية، يعرف بعميد الصحفيين الجزائريين، بدأ العمل الصحفي في سن 19 في صحيفة المساواة وبعدها الجمهورية الجزائرية، ساهم في تحرير صحافة جبهة التحرير رفقة زوجته إفلينلافاليت (Evelyne Lavalette)بعد الاستقلال اشتغل في صحيفة المجاهد ولوفيقارو ووكالة الأنباء الفرنسة، أسس جريدة جهوري

4. يوميات تراجيديا الأحداث في قالمة حسب رواية شاهد عيان لصحيفة لمساواة:

نقوم في هذا العنصر بعرض محتوى سلسلة المقالات التي نشرتها المساواة في شكل روبورتاج لمأساة أحداث ماي 1945 في قالمة، وفيها نقرأ نقلاً أميناً لسلسلة مشاهد المجازر والقتل الجماعي بالأدلة والوقائع المعاشة. ونشير هنا إلى أنّ الترجمة التي قمنا بها لمحتوى هذه السلسلة لم تكن حرفية، كما أنّ العناوين هي من اقتراحنا.

1.4 بداية المؤامرة الاستعمارية في قالمة قبل الأحداث:

قالمة دائرة كبيرة تمتد حدودها حتى الحدود مع تونس، وهي أحدى المدن المهمة في عمالة قسنطينة، بعد تأسيس أحباب البيان والحرية أنشأت قسمة جد نشيطة في قالمة ضمت 12000 عضو منظم ومتعلم، موجهين من قبل إطارات ذكية ونشطة. العلاقات بين المسلمين والأوربيين لم تكن حميمية ولكنها كانت ودية، هذا الجو من الود بدأ يتعكر منذ بداية أفريل 1945 فجزء من المعمرين بدءوا يعبِّرون عن بعض المخاوف، يومياً تنتقل الأخبار الكاذبة المثيرة للفوضى سواء من قبل الصحافة أو من قبل المستفزين الاستعماريين، والتي تتمحور في أن أمن ووجود الأوربيين مهدد من قبل العرب المتفقين على رمي الفرنسيين في البحر، الإدارة المحلية هي الأخرى في السر أو العلن دخلت في العمل العنصري التفريقي على النهج الميكيافلي، وأخذت في التحضير بعناية للمؤامرة الموجهة لإثارة اضطرابات لتبرير القمع، وكما كان الحال في كل الجزائر تقريباً قامت بتوزيع الأسلحة على العديد من الكولون في المدن والأرياف، أجواء الخوف تطورت لدى الأوربيين يوماً بعد يوم، في حين المسلمين خصوصاً مسيري القسمة المحلية لأحباب البيان كانوا دائماً ما يتحملون التهديدات بالسجن والاعتقال من قبل رئيس الدائرة أشياري وبعض الأعيان القالميين.

أياماً قبل أول ماي واحد من أكبر الخدم الأوفياء للإدارة الاستعمارية "الدكتور الأخضري" التقى في المكتبة البلدية المحترم سمعان عبدة الأمين العام للقسمة المحلية لأحباب البيان والمناضل اليقظ ابن عيسى يزيد وأمين المال الذي كان يتصفح كتاب لعلم الفلك فوجه إليهم التهديد التالي:

"البيان ميت قريباً ستقومون بعلم الفلك بشكل أكثر، بالتنزه في سجون بوسري أو المشرية".[10]

رغم كل التهديدات والعراقيل المناضلين القالميين واصلوا نشاطهم في وضح النهار، يشجعهم في ذلك التكوين السياسي والاجتماعي الذي حصلوا عليه من قبل صحيفتنا(المساواة)، وتوصيات اللجنة المركزية لحزبنا الداعية للهدوء، الاتحاد، والحيطة في محاربة الاستعمار والامبريالية بصفة سلمية.

في أول ماي تجلت العمليات الأولى للتراجيديا الكبيرة لإحياء عيد العمال، عدد من المسلمين رفض أشياري أن يقدم لهم الرخصة للتظاهر، وبدون تحضير نظم المسيرين النقابيين والسياسيين

وهران (Républicain d'Oran)والمدرسة الوطنية للصحافة، توفي في 13 جانفي 1993، زوجته إفلين سفير توفيت مؤخراً في 25 أفريل 2014 بالمدية.
Expression, 21. Avril 2003, hommage à Abdelkader Safir le précurseur.

[10]Egalité, 15 Aout1947.

الفرنسيين مظاهرة صغيرة عبر بعض الطرقات في المدينة، وفي الأخير وصلت إلى نصب الأموات، ولكنها أوقفت في الطريق عند ساحة المسرح الروماني من قبل رئيس الدائرة أشياري نفسه، وتبادل هذا الأخير بعض الكلمات مع المسؤولين الذين قرروا تفريق المسيرة، وعادوا في هدوء بدون اضطرابات، بعض اللافتات تحمل شعارات "**حرروا مصالي**"، وكان ذلك كافياً لتحذير الأوربيين المحضرين لكل طارئ.[11]

ولكن منذ ذلك الحين أصبح ممكناً أن تلاحظ في شوارع قالمة تنقل عدد من الأوربيين يحملون أسلحة في مجموعات أنشأها أشياري والتي لم تتوقف عن النمو والتزايد، فالإدارة بدل تهدئة النفوس المنشغلة تسببت في اضطرابات أكثر، شرطة الدولة، الدرك كانوا على أهبة واستعداد للحرب، دوريات عسكرية للرماة الجزائريين، فرقة الثكنة العسكرية هيبرت تجوب في المدينة مدججة بأسلحتها الحربية.[12]

2.4 يوم النصر في المدينة:

زادت المواقف الاستفزازية لقتال الرجال أشياري من خطورة الأوضاع خلال مظاهرات أول ماي، التراجيديا الدموية الكبيرة لـ8 ماي بدأت في سطيف وضواحيها في الصبيحة، بعدها امتدت إلى قالمة بعد الظهيرة من نفس اليوم في حوالي الساعة 16.30. يوم بعدها نشرت مراسلة صغيرة للحكومة العامة في الصحافة وأعلنت في الإذاعة الجزائرية: "في الوقت الذي كانت فيه الجزائر تحتفل بيوم النصر عناصر أثارت اضطرابات بطرق ومبادئ هتلرية، قامت باعتداءات بأيدي مسلحة على السكان الذين كانوا يحتفلون بيوم النصر في مدينة سطيف وضواحيها. الشرطة استعادت الأمن، السلطات قررت اتخاذ كل التدابير والوسائل لضمان الأمن وقمع كل محاولات إثارة الفوضى".[13]

يوم الثلاثاء 08 ماي 1945 يوم عيد النصر كان يومً حاراً بشمسه الإفريقية، سكان واد سيبوس نهضوا مبكراً للاحتفال بالنصر، كان ذلك فرصة لتحقيق المصالحة بين العناصر المسلمة والأوربية ،كان ذلك ممكناً، لكن أشياري وجه ضربته السيئة في الظل. بعد الظهيرة من 07 ماي تم إذاعة المستجدات بوقف إطلاق النار في الأرياف البعيدة بصوت المذياع، وكيف أن الاحتفالات بنهاية المعارك سيتم تنظيمها في مختلف أنحاء الجزائر بكاملها، باستعراضات عمومية ومسيرات شعبية والتي يشارك فيها عموم السكان. إطارات أ ب ح حضّرت للانضمام للاحتفال بشكل طبيعي وفي إطار قانوني، اللجنة المركزية في الجزائر العاصمة في اجتماعاتها لـ 04 -05- 06 ماي عبرت عن رغبتها في تنظيم مسيرات وتم إرسال برقيات إلى كل القسمات، فرحات عباس والدكتور سعدان يوم النصر ذهبا إلى مكتب الحاكم العام وخلال انتظار استقبالهم تم إيقافهم.[14]

في قالمة أب ح قرروا تنظيم المسيرة رغم معارضة رئيس الدائرة أشياري، فقاموا بتجميع السكان

---

[11]Ibid.
[12]Ibid.
[13]Egalité, 22 Aout1947.
[14]Ibid.

خارج المدينة في انتظار نهاية الاحتفالات الرسمية، ليقوموا بعدها بتنظيم المظاهرة تجنباً لكل اصطدام. هكذا يوم 08 ماي على الساعة 16.30 آلاف المسلمين تجمعوا عند سور المدينة وفي الأراضي المجاورة وعند باب السوق وشكلوا موكبهم. أمين القسمة سمعان عبده ونائبه أوترسي والعديد من الشخصيات أرادوا فرض النظام والأمن وإفشال كل استفزازات الشرطة، فنزعوا كل الأسلحة من المتظاهرين، موكب المسلمين دخل المدينة من باب السوق وسار في الشوارع، وتوقف في الساحة بصفة منضبطة صامتة وهادئة.

صاحت امرأة أوربية:"**آه إنها فنتازيا جميلة**".

أشياري كان بجانبها وكان بصدد الانتهاء من خطابه نزل إلى المرأة وقال لها :"**سترينا الفنتازيا الجميلة، سترينها لأجل فرنسا، وحتى تكون فنتازيا جميلة حقيقة لابد لها من رائحة البارود...**" ثم سار في خطوات متسارعة إلى المتظاهرين وأشار إليهم بالتوقف، فتوقفوا.

قال لهم:**ماذا يعني هذا؟ ما هدف هذا الموكب؟**

أجابه أحدهم: **إنها تحية وترحم نريد أن نعبّر عنها للآلاف من موتى الحرب التي شارك فيها الجزائريون والجزائر بشكل واسع وبكل إمكانياتها، هذه المسيرة شعبية وعفوية، لا تمس بأي حال بالنظام العام، لنا الحق في الاحتفال بالنصر والتضحيات التي قدمناها.**

كانت اللافتات تحمل شعارات "**يحي انتصار الحلفاء، يحيا بيان الأطلسي، تحرير غير مشروط لمصالي**"، وهناك من يحمل أعلام فرنسية، سوفياتية، أمريكية وانجليزية أضافوا إليها الألوان الوطنية، أثار الموكب غضب أشياري الذي كان يحمل في جيبه الخلفي مسدس معبأ أخرجه وأطلق طلقات ثلاث مرات وتفرق المتظاهرين، أشياري أطلق النار على الألوان الجزائرية،وأمر أعوانه بإطلاق النار نحو المسلمين الذين تساقطوا، وتفرقت المظاهرة وعاد الهدوء في المساء.[15]

3.4 تصعيد القمع وإنشاء المليشيا:

خلال الليل نامت المدينة، ولكن ياحسرتاه! التراجيديا لم تعرف سو معالمها الأولى فقط، الشرطة تحت أوامر أشياري قامت بجولات في الحي العربي للمدينة، وأدت تلك العمليات إلى إيقاف 90 شخص منهم 11 عضو في ا ب ح استنطقهم أشياري، وفي التاسع ماي عند المساء أعطى أشياري الأمر بمواصلة الإيقافات، وحققت رغباته بشكل كبير، وخلال بضع ساعات امتلأ السجن المدني وكان يجب تفريغ أماكن أخرى، وأرسل أشياري برقية إلى الجنرال ديغول يطلب فيها إعدام كل المعتقلين، وبقرار شخصي قام بتنحية كل الموظفين المسلمين من المناصب الرسمية.ساد المدينة حزن بليغ، أشياري قام بمبادرته في إعلان حالة الطوارئ.

المدينة أصبحت في حالة حصار حقيقي من قبل أشياري وأصدقائه، النداءات للمجازر تم ترديدها في قالمة وضواحيها صبيحة 10 ماي؛ موطفين، عمال معمرين، رجال، شباب، وحتى النساء من كل الأصول: فرنسية، مالطية، إيطالية، إسبانية أو غيرها وجّه لهم النداء التالي:

[15]Ibid.

"تعالوا لإنقاذ امتيازاتكم، سارعوا إذن، خذوا المسدسات، البنادق، الرشاشات العديدة، اختاروا، سلحوا أنفسكم باسم الاستعمار السخي والإنساني، اقتلوا، اقتلوا هؤلاء العرب مهزومي 1830، أصحاب الألبسة الرثة والبطون الخاوية، وكل من يتجرأ للحديث عن حقوق الإنسان، والشرف الإنساني، ويدفعون بطموحاتهم لتكون هناك مساواة معنا، عيشوا كرجال فوق هذه الأرض الجزائرية التي ينبغي أن تبقى لنا إلى الأبد".

"نداء الواجب المقدس" كان له صداه، بسرعة المليشيا التي نشطتها عصابات هتلرية وبدافع من الحقد والتعطش للدم والمجازر أصابتها حمى جنون حقيقي، فقدِمت بشكل جماعي لتطبيق مخطط البعثات العقابية (expéditions punitives)المحضرة بعناية من قبل قيادة أركان حقيقية.[16]جموع كبيرة من المعمرين في الناحية انهالوا للانضمام لتنظيم الميليشيا المسماة بالحرس الجمهوري، والتي ضمت النساء والشباب بعضهم ينتمي إلى أحزاب ذات مبادئ ماركسية، اجتمعوا لإعلان الحرب على الأهالي،[17] وضمت لافي (Lavie) مندوب مالي ومستشار عام، ماليس(Mellis) إداري في البلدية المختلطة واد الشرف، كاريي(Carret) عضو الحزب الاشتراكي ورئيس جمعية فرنسا المحاربة والنائب الأول لرئيس البلدية، أطالي(Attali) وترازيني(Trizzini) مستشارين بلديين، واوكومب(Lucombe) عضو الحزب الشيوعي الجزائري، وأسلان(Isselin) رئيس الكشافة الفرنسية وأشيطان(Achytan) الأمين المحلي للنقابات والقائمة طويلة[18].نلاحظ أن اسم أشياري غير وارد في القائمة الجلاد السابق في ظل نظام فيشي لا يريد أن يظهر اسمه للعلن، المليشيا أنشئت من قبله رغم المعارضة الشكلية لعمدة البلدية، قلناها ونعيدها أشياري هو المسؤول عن تفجير الاضطرابات بدعم من العديد من الشخصيات، أشياري في قضية قالمة يعد المسئول الأكثر رعباً...

المليشيا التي كانت لها لجنة مديرة دخلت في العمل بسرعة، أول إجراء اتخذه مسيريها الأساسيين تمثل في تجميع العديد من الرماة الجزائريين في فرقة داخل ثكنة هابيل(Habett)[19]، عند منتصف النهار

---

[16]Egalité, 12 Septembre 1947.

[16]تظهر هذه الشهادة في العدد89 لـ 1 أوت 1947أنّ الميليشيا تم إنشاؤها قبل الأحداث، بحيث منذ أول ماي أصبحت المجموعات المسلحة التي أنشأها أشياري تجوب شوارع قالمة مستفزة للجزائريين، وفي 9 ماي 1945 بدعوى عجز سلك الأمن وقوات الجيش والشرطة عن حفظ الأمن، وجّه أشياري الدعوة للكولون للانضمام إلى المليشيا التي أعطي لها الطابع الرسمي حينما وجّه لسترادكاربونل والي قسنطينة من خلال يومية برقية قسنطينة نداءً يدعو فيه المعمرين لتسجيل أنفسهم لتشكيل ما أسماه بالحرس المدني وجاء في البيان:

"إعلان إلى سكان عمالة قسنطينة : بهدف المساهمة الفعّالة في استعادة الأمن يتم إنشاء ملشيات مدنية في قسنطينة بداية من 10 ماي 1945، المطلوب من المتطوعين القدوم بسرعة إلى مقر العمالة، حيث تتواجد مصلحة الدفاع الوطني الساهرة على استقبالهم، يجب أن تتوفر لدى المتطوعين الشروط والمقاييس الجسمانية الضرورية". وشكرت مراسلة لعمالة قسنطينة مؤرخة في 10 ماي المواطنين الفرنسيين الذين قدِموا بأعداد كبيرة للتسجيل في الحرس المدني، وذكرت" **أنّه تم وضع القوائم وسيتم طلب تدخل هؤلاء المتطوعين، وصلتنا إمدادات جد كبيرة وهي في الطريق، وستسمح بمواجهة كل حركة في المناطق التي اندلعت فيها والحيلولة دون انتشارها أكثر لتعم مناطق أخرى**" Dépêche de Constantine, *12 05 1945*.

[18] Voir Egalité, N° 92, 29 Aout1947.

[19]لم يكن أشياري يثق في الرماة الجزائريين ورفض الاستعانة بهم وتم إبقائهم في الثكنة مع الجيش النظامي، وفضّل الاعتماد على الشرطة والدرك وبشكل أكثر على المليشيا، وبذلك تمكن من تعطيل عمل المؤسسات النظامية والقانونية وإعلان الأحكام العرفية.

المحافظ توكار (Tocquard) برفقة القتّال شام(Champs) رئيس قسمة قالمة للقدماء المحاربين ونائب رئيس البلدية ذهبوا إلى بيت موزع صحيفة المساواة جربوعة عبد المجيد 33 سنة، لأجل إيقافه، أخذ مكبلاً بالسلاسل حيث أعدم في مكان غير بعيد عن بيته من قبل شرطي وهو يصيح:"**سافل(salaud) منذ وقت قريب كنت تصيح يحي فرحات عباس**". نشاط موزع صحيفتنا كان أثار حقد توكار فكان من أول الضحايا لمذابح الآلاف.[20]

في الصبيحة المحافظ توكار فجّر سلسلة عمليات صيد الخنازير البرية والجرذان التي تحول مفهومها إلى صيد العربي الذي سيبدأ قريباً، وبدأت الأسلحة الأوتوماتيكية في العمل في كل مكان، وعكرت الصمت ولوثت الجو برائحة البارود المنبعثة من كل جهات أحياء المسلمين. كل مليشيي وعد أنّه سيقدم عربون ملموس لِلَجنة اليقظة "الساهرة على المصلحة الوطنية للبلاد"، العديد من العرب فوجئوا في الطرقات وسقطوا تحت الطلقات في وسط بهجة قاتليهم. في حوالي الساعة 17 تدخل السيد موبير رئيس البلدية بجانب رئيس الدائرة أشياري لضمان حرية نسبية لأعضاء المجلس البلدي والمندوبين المحليين المسلمين.

أصوات محركات الطائرات سمعت، العديد من أسقف منازل الحي العربي دمرت، ساد إحساس عام لدى المسلمين بالرعب ولكن بقي الأمل، "**هل نخرج لنقتل بدون سبب، ربما لا يراد فقط إلا تخويفنا، أو أنّ ذلك لم يكن سو مجرد استعراض للقوة الذي تعودنا عليه منذ زمن بعيد**". لكن الطائرات ألقت قنابلها وطلقات رشاشاتها لتقتل بدون رحمة العديد من المسلمين في القرى حيث لم يسمعوا بمأساة قالمة، الطيارون قدموا من القواعد الجوية للدار البيضاء والبليدة، وبدءوا في قصف مدمر وكثيف لضواحي المدينة، الجيش من دون وقت ضائع قدم لحصته من الصيد.[21]حصل لي شخصياً مرة –في النقل العمومي بمدينة الجزائر– أن سمعت أحد الطيارين لعب دوراً في التدمير يروي للمسافرين الأوربيين كيف أنّه في ألف مرة حصل له يطارد بالرشاشات هؤلاء الجدي الذين يجرون بسرعة أكبر من الأرانب يفرون إلى المغارات تحت الصخور وفي الجبال"[22].

في ليلة 10 و11 ماي امتد الرعب إلى الدواوير والقرى، ولكن قالمة دمرت جراء القصف الجوي، وكل الأوربيين فيها لم ينقطعوا بشكل كامل عن إطلاق النار من رشاشاتهم. السجن المدني امتلأ، الدرك قام بتفريغ مقر الكشافة الإسلامية المحلية وأماكن أخرى استخدمت لتقدم خدمة معتقلات مؤقتة، وجرت مشاهد تعذيب على طريقة الجستابو الألمانية.

4.4 شهادة أحد الناجين حول اعتقاله ومقتل محمد رقي وزوجته وآخرين :

[20]Ibid.

[21]كتبت صحيفة صوت الأهالي: "هناك طائرات عسكرية قدمت من الجزائر، وهران، المغرب وتونس دمرت بشكل عشوائي القرى العربية المتواضعة، وتمّ الإفراج عن سجناء إيطاليين وتسليحهم بالرشاشات ليطلقوا النار على ظهور المسلمين الذين جُرّدوا من أدنى الأسلحة، وبعد ظهر 10 ماي 1945 قدمت عدة وحدات مدرعة من تونس إلى قالمة قامت بتدمير حيفيلار، ذلك ما أدى إلى وجود موتى وموتى وموتى، السكان الأوروبيين فرحوا بقدوم تلك القوات وشحذوا وجوههم من جديد في جو من الحقد والرغبة في الانتقام". *Voix Indigène, 12 09 1947.*

[22]Egalité, 09 Septembre 1947.

زميلنا "H K" المعتقل الذي نجا من الموت بمعجزة لاحظ آباء وأصدقاء مسجونين مثله أخذوا ولم يعودوا مع معتقلين آخرين، أدخل في حفرة مع جثث إخوانه المقتولين، ورغم مرور أكثر من عامين إلا أنه لم ينس شيء، يقول:يوم الجمعة 11 ماي استمرت القرى القالمية في تلقي هجومات الطيران بشكل غير منقطع، خلال ذلك اليوم قتل محمد رقي بطريقة هتلرية، في حوالي الساعة 16 أوقفت أخته الزهرة وإخوتها الثلاث: عبد الحفيظ وعمره 40 سنة، عمّار وعبد الله وهو معطوب حرب 1914-1918 وصاحب وسام شرفي، عاد إلى عائلته في الجزائر بعد إقامة في فرنسا منذ 30 سنة.

رقي محمد صاحب مقهى المرايا وفندق الشرق استدعي في المساء إلى الدرك، كان متعاطف مع أ ب ح، وهو رئيس جمعية المدرسة الحرة القالمية، ويمارس نشاطه في إطار قانوني في المجال الثقافي والاجتماعي، ولكن الإدارة المحلية لم تكن مرتاحة إليه، الدرك اثر استجواب طويل، حيث أجاب بكل وضوح. قيل له: "**سيد رقي يمكنك أن تطمئن، لم تثبت ضدك أية تهمة**".

كانت الساعة حوالي 21 حينما خرج من بين جدران الدرك للعودة إلى بيته، وفي المكان المسمى حديقة دوغول(Square de Gaulle) أُطلقت من نافذة الدرك رصاصات، أصابته رصاصتين في الظهر، 8 أيام بعدها سقط ابنه وعمره 34 سنة، السيدة الزهرة رقي (أخت محمد) لا تزال ذكراها إلى اليوم تشّرف كل المسلمين في قالمة، فهم لا يستطيعون نسيان كل شيء عن هذه المرأة المثقفة، كانت أول شابة من قالمة تدخل التعليم الثانوي، وتقدم خدمات بتعليم البنات اللغة العربية والفرنسية، عذبت خلال طوال فترة احتجازها، شعرها تم حفه وأنهكت بضربات المليشيين، قاومت ودافعت ببطولة نادرة، في مساء أحد الأيام أخرجوها من معتقلها وأخذوها إلى المكان المسمى العين الساخنة بالقرب من نهاية المحطة عند حمام المسخوطين، توجهت إلى جلاديها بكلمات نددت فيها بالاستعمار، قاموا بنزع جلدة رأسها التي تغطي حاجبيها وماتت بعد أن صاحت "تحيى الجزائر"[23].

وحول إيقافه واعتقاله وتعذيبه يقول الشاهد: "أذكر أنه في يوم 14 ماي في حوالي سا15ونصف حيث الميليشيي مونقولي جون(Mongoli Jean) وهو حالياً بنَّاء يسكن في طريق موقادور(Mogador) وعدد آخر من أمثاله أوقفني، وفي ذلك الحين أُخذ خالي بن شيدة أحمد وغفار خليفة من قبل الدرك، أدخلوني لمكتب المساعد حيث كان المليشيا يشتغلون في مجموعات بالتناوب،كان هناك بعض الشباب المسلمين، عرفت من بينهم مناضل في أ ب ح وهو فليفلة عبد الله والذي قتل رمياً بالرصاص، بعد تفتيش هويتي أخذوا منّي حافظة أوراقي وفيها 450فرنك وانهالوا عليا بالضرب، ثم أمروني بالالتحاق بزملائي في ساحة الدرك، وفي طريقي كنت أسمع أنين وصياح لا يحتمل للمعتقلين، أُلقيت في وسط حقد المليشيين الذين كانوا يدفعوني الواحد للآخر، ويوجهون إليّ ضربات عنيفة بالأرجل والأيدي والبنادق وهم في حالة هيجان من مثل الثيران الهائجة،وفي النهاية تلقيت ضربة دبوس وتدفقت دمائي وفقدت الوعي، حينما عدت إلى الحياة نظرت وكنت أرى جهنم أمام أعيني، كان يوجد في ساحة الدرك الضيقة 180

[23]Egalité 12 septembre 1947.

رجل ملطخين بالدماء، ألبستهم ممزقة من آثار الاعتداءات والتعذيب، كانت تخرج من أجسامنا حرارة تخنق الأنفاس. بقيت هناك للعديد من الأيام بدون غذاء ولا شراب، ذلك لأنّ ما كانت تأتي به أمهاتنا وأخواتنا وزوجاتنا لا يصل إلينا، في 15 ماي رأيت خالي بن شيدة بين أيدي شرطة الاستعلامات العامة(PRG)أُخذ مع فاسي عبد الكريم إلى مكان لم نعرفه ولم يعودا، في المساء نادوني مع مجموعة من رفاقي إلى مكتب المليشيا لدفن الجثث.من هم عناصر ذلك المكتب؟ يمكن أذكر لكم أسماؤهم[24]."

5. زيارة ليسترادكاربونيل والجنرال دوفال لقالمة 12 ماي وتحريضهما على القتل:

ليلة الجمعة والسبت مرت في قلق كبير، طلقات نارية وقذائف مطلقة من الطائرات قامت بنشر الأضواء خلال الليل المظلم، منذ الثلاثاء دائرة قالمة جعلت تحت الرقابة العسكرية، صبيحة السبت 12 ماي عرفت زيارة المسؤولين عن لتفجر الاضطرابات: الجنرال دوفال قائد الناحية العسكرية لقسنطينة وليسترادكاربونيل والي قسنطينة، استقبلوا عند أبواب المدينة من قبل رئيس الدائرة أشياري وأمثاله، زاروا المقر العام للمليشيا حيث نظم استعراض على شرفهم، بعدها جمعوا الأعيان القالميين والأوربيين وانضم إليهم المسلم "سحيلي" وهو وكيل قضائي، ليسترادكاربونيل أخذ الكلمة ليحيي بحرارة منظمي المجازر وينوه بهم بكلمات تدعوهم لمواصلة عملهم "للإنقاذ العام".

تجرئ سحيلي ليقول:**"لكن الجدير القيام بتهدئة الأحقاد، واتخاذ قرارات كفيلة بوقف المأساة، حتى يتم تجنب حفر الخندق بشكل أعمق بين العنصرين السكانيين للبلاد".**

أجابه الوالي:**"لا، بالنسبة لنا لا وجود لعنصرين سكانيين، في هذه البلاد لا يوجد سو عنصر واحد له اعتباره، وهو العنصر الأوربي، أما العنصر الآخر فليس أمامه سو الخضوع دون شروط".**

ثم التفت إلى قادة المليشيا:**"سادتي قوموا بواجبكم كفرنسيين، استمروا في ضمان النظام في كل مكان، وبكل الوسائل وبيّنوا أن فرنسا هي قوة كبيرة".**

أمّا الجنرال دوفال فاختصر فكره في جملة واضحة:**"أصنعوا لنا في هذا المكان برلين صغيرة".**

نذكّر بكلمة الدكتور ميشال والذي يحظى اليوم باحترام كل السكان المسلمين، بصفته طبيباً مكلفاً بإدارة المستشفى العسكري للمدينة كان حاضر في هذا الاجتماع، مباشرة بعد أن أنهى ليسترادكاربونيل ودوفال كلمتهما المثيرة للمليشيا تدخل ليوبخ التجاوزات المرتكبة من قبل الذين كانوا من المفروض مكلفين رسمياً باستعادة النظام بقوله:

" يحصل أحياناً لنا نحن الأطباء أن نقع في أخطاء غير إرادية، لكن لن أحمل الأسلحة ولن أقتل الأبرياء". استنكر ليسترادكاربونيل هذا الرجل واعتبره فرنسي سيء وأخذ يهدّده، الدكتور ميشال لم يقم فقط بعدم حمل السلاح، ولكنه كان يداوي الجرحى المسلمين بالمجان خلال الأحداث.[25]

1.5 اشتداد الإعدامات الجماعية بعد 12 ماي:

[24]Voir Egalité, N°94, 12 Septembre 1947 p.2.
[25]Egalité, 09 Septembre 1947.

منذ أن غادر ليستراد كاربونيل ودوفال قالمة متجهين إلى جيجل التي دمرت سواحلها بالبوارج البحرية، استؤنف إطلاق الرصاص، الرعب انتشر ،الإعدامات الجماعية ازدادت بوتيرة متسارعة، الرشاشات دخلت في العمل، الدم المسلم ذلك الدم السخي الذي سال لأجل شرف فرنسا ولتحرير الإنسانية يراق في الرايخ الاستعماري الكبير، في هذا النطاق أبو(Abbo)تمنى اضطرابات خطيرة، أعمال تشبه الجستابو الألماني، ولا شخصية رسمية أعارت اهتمام للضحايا المسلمين بتعازي الحكومة لأسرهم، وهم لا يريدون البحث عن الطرق التي ماتوا في خلالها ومعرفة جلاديهم، وعملوا على الإنكار بأنه لم يحدث شيء خطير.[26]

وفي 12 ماي 40 شاب كشاف مسلم أوقفوا وقتلوا بعد الظهر، قبل مرورهم عبر الأسلحة تمت محاكمتهم من قبل محكمة عرفية(cour martiale)، حيث القاضي الأكثر نزاهة كان قد ارتكب بعض الجرائم، المترجم القضائي ذوي الأصول اليهودية المدعو عمار الذي صرح بعد الأحداث أنه لم يكن يريد أن تفوته الفرصة الممنوحة للانتقام من أخوانه الذين سقطوا في أحداث أوت 1934 في قسنطينة، كلف بترجمة بعض الأناشيد لفيدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية، وقام بتشويه حقيقتها، أن أناشيدها كانت ذات طابع وطني معادي للفرنسيين، وأنها يمثل مظهراً للانضمام إلى الحرب المقدسة، الحكم صدر مسبقاً في حق 40 شاب كشاف، وأعدموا بالرشاشات شمال المدينة على بعد 500 م منها. في هذا الوقت أمام أعين الأمهات والآباء الدوريات العسكرية كانت تخترق الأحياء العربية المحاصرة، وتمت دراسة إمكانية تدمير الحي العربي دون المساس ببقية المدينة، النتائج كانت سلبية، لأنه من الممكن المساس بالأوربيين، وخلال الليل استمرت التقتيلات.[27]

يوم الاثنين 14 ماي بعد الكشافة الإسلامية جاء دور أعضاء القسمة المحلية لأحباب البيان والحرية، الذين أوقفوا في ليلة 8-9 ماي، كانوا مع حوالي 70 شاب آخر محتجزين في السجن المدني، وكلما يصل سجناء جدد كانوا يعلمونهم كيف أن المقتلة كانت كبيرة،صرحوا أنّهم كانوا يتوقعون ذلك ولكنهم كانوا ينتظرون على الأقل محاكمة أمام محكمة حقيقية، ولكن هذه المحاكمة لم تحدث، أمين القسمة سمعان عبدة البالغ من العمر 22 سنة والذي كان بصدد التخرج من مدرسة قسنطينة ويحضر لمسابقة الدخول إلى المدرسة العليا بالجزائر، حافظ على دمه البارد، كان هو من يؤم رفقائه في الصلاة وينصحهم بالحفاظ على الصيام، ساعة النهاية حضرت، سمعان عبدة ترك السجن وكتب بالعربية في أحد جدرانه:"**نحن الشجعان لا نخاف من الموت ولا نهاب من العدو في الدفاع عن بلادنا ووطننا، موتنا يوماً بشرف خير من حياة الذل لألف سنة**"، شاحنة نقلت هؤلاء الشجعان على بعد 4 كلم من كاف البومة، وتم إعدامهم ولا تزال آثارهم في تلك الأماكن.[28] ساق المجرم أشياري الأسرى 70 وأمام جلاديهم سقطوا الواحد تلوى الآخر بطلقات الرصاص.

[26]Egalité, 26 Septembre 1947.
[27]Ibid.
[28]Ibid.

أشياري أراد أن يموتوا وهم ينادون:**"تحيا فرنسا، يسقط البيان، فرحات عباس نذل"**، ولكنهم نادوا: **"تحيا الجزائر، تحيا البيان، يحيا فرحات عباس"**.

وفي الوقت الذي كان المجرمون يواصلون الإعدامات، المسلمين العزل المجوعين المرعوبين تركوا دواويرهم وقراهم المحروقة والمنهوبة ولاذوا بالفرار إلى باب قالمة، بعد ظهيرة يوم الأحد قدِمت المليشيا إليهم، المعركة لم تكن متكافئة،سقط العديد من الضحايا المسلمين، إضافة إلى 40 كشاف ومسيري أ ب ح رفقة 70 شخص، أعدم 500 شاب في ظروف غامضة،من الجانب الأوربي هناك 9 قتلى دفنوا في المقبرة المسيحية للمدينة.[29]

رفيقنا "H K" الناجي ذكر أنّه في يوم 15 ماي كان معتقلاً منذ أيام عند الدرك، يقول: "تم تعييني من قبل مكتب الميلشيا لدفن الجثث، كانت الساعة حوالي الساعة 8 حينما أخرج عشرة مساجين إلى خارج المركز، كان من بينهم أورتسي صالح اسكافي، حامي محمد اسكافي، وبومعزة محمد بن إبراهيم تاجر المواشي عمره 58 سنة، أخذوا إلى الخارج من قبل المليشيا، بعودتهم في حوالي الساعة 11 ذكروا لنا أنهم أرغموهم على حفر القبور للذين أعدموا البارحة في طريق ملزيمو قرب الجسر على بعد 3 كم من قالمة، بعد الظهيرة حوالي 40 من رفقائنا أخذوا حتى لا يعودوا إطلاقاً، كان من بينهم خالي أبن شيدة أحمد الذي قتل رمياً بالرصاص".[30]

اليوم الموالي في حوالي الساعة 8 تم استدعائي للعمل مع 12 من رفقائنا، تم حملنا على متن شاحنة يقودها رلفي إبراهيم رافقه 10 مليشيين مسلحين بالرشاشات، توجهنا نحو المحجر الموجود على مبعدة من باب السوق، 30 متر من جسر حاج مبارك، بوصولنا إلى هناك وجدنا أنفسنا أمام مجموعة من الجثث عددها بالضبط 67 جثة، الأجساد غربلت بالرصاصات ورشت بالبنزين وأحرقت، 5 منها لم يحترق بالكامل وتمكننا من معرفة أصحابها وهم كل من: عمراوي الصالح 20 سنة أب لطفلين، جرح خلال الحرب العالمية، ممرض في المستشفى المدني لقالمة، زعيفة لعمارة 50 سنة بائع المواشي، رودة عمار 33 سنة تاجر الأشياء القديمة، و المسمى عبد الرحمان سنه حوالي 32 سنة يشتغل في فندق الشرق لمالكه محمد رقي، بوشماط سائق في الشركة الأهلية للاحتياط (سيبSIP)، البقية من الصعب التعرف عليهم، لم نقم بحفر القبور لهم لأنهم قبل موتهم قاموا بذلك، بدأنا مهمتنا تحت مراقبة المليشيا والطائرات المقاتلة التي كانت تحلق فوق رؤوسنا، في خندق عمقه 1.50 متر وطول 4 أمتار أودعنا الجثث وأُمرنا برمي التراب عليها، ثم أُمرنا بحفر خندق آخر بنفس الحجم، المليشيا أرغمونا على العمل والرؤوس منحنية بدون كلام، وخاطبنا أحد الملشيين:

"هذه القبور هي لكم لأنه في المساء سيأتي دوركم"، ثم التفت إلى السائق الجزائري رلفي إبراهيم وقال له: **"آه سيكون سهلاً علينا اغتصاب النساء العربيات"**.-هؤلاء المليشيا لا يزالون في حرية يزاولون

[29]Ibid.
[30]Ibid.

أعمالهم– تم اقتيادنا بعدها إلى الدرك وأعلمنا أنه حكم علينا بالموت، على الساعة 14 محافظ الشرطة طوكار–الموجود حالياً في بجاية– جمعنا وعددنا 84 شخص، وجعلنا في صف أربعة، أربعة، وشكلنا موكب–وكان من بيننا شخصية مسلمة محترمة وهو شرفي عمار الذي مات بطلقات الرصاص– ووجهت الرشاشات إلينا، صعدنا طريق سيدي كارنو حيث اصطف الأوربيون في الأرصفة وأخذوا يشتموننا ويسبوننا ويضربوننا بالحجارة والمواد المعدنية، وتم إيقافنا عند مقر الكشافة حيث أدخلنا إلى هناك أين وجدنا العديد من النساء والسجناء... حرمنا من الغذاء وكنا مرغمين للتبول في مكان جلوسنا، لم نتمكن من التعرف على كل من كان هناك، في ذلك الجو الجهنمي طرحت بعض الأسئلة، ووجدت أن عدد من السجناء كانوا أجانب عن قالمة، أوقفوا عند المحطة من قبل المليشيا الذين منعوا قطار قسنطينة تونس من السير في وجهته، وهذا بهدف إنزال الركاب المسلمين الذين بعضهم قام بدفع الأموال للنجاة من الموت.

ليلة 16–17 ماي نزلت شاحنة تنقل السجناء، الطائرات كانت تغطي السماء، كل واحد منّا كان يرفع أصبعه لينطق بالشهادة، على الساعة 2 صباحاً قائد المليشيا جيرفي(Gervais) جاء إلى مقرنا واختار سجينين والذين فقدناهم منذ ذلك الحين وإلى الأبد، يوم الخميس كان مملوء بالعمل، تم إيقاظنا مبكراً وأرغمنا على أن ننادي :"**تحي فرنسا، يحي ديغول**" "**كل ضحية أوربية واحدة تكلف 1000 عربي**"،أحد المليشيين وهو بلانصي(Blancit) حارس "شامبيط" لمليزيمو دخل وأخذ السجناء الذين ينتمون إلى بلديته وقتلهم رمياً بالرصاص، بعدها جاء دور سجناء بلدية بوتي بدخول رئيس البلدية جوليا(Julia) ونائبه ديلماس(Delmas) والذين قاما بتجميع سجناء بلديتهما وكان من بينهم طفلين سنهما 8 و 10 سنوات ومعطوب حرب مبتور الأيدي، وبدون رحمة تم ذبحهم من قبل المليشيا.[31] ماذا أصبح هؤلاء، دماؤهم سالت بعدها جثثهم عرضت مطولاً للشمس لم يتم حتى دفنها، كنت مثل غيري أنتظر متى يأتي دوري، حينما وصل مرسوم يوم الجمعة 18 ماي تدخل لمصلحتي وتم إطلاق سراحي في الصبيحة،واتجهت بسرعة إلى المدينة التي هوجمت، عائلتي التي لم تكن تنتظر رجوعي استقبلتني بحزن كبير وكانت في حالة حداد على كل الضحايا الآباء والأبناء الذين قتلوا من دون سبب، نساء الحي جرين إليّ كل واحدة تسألني بألم عن أي جديد حول أبنائهن وأزواجهن وإخوانهن. سواء في السجن أو الحي العربي لم يتغير شيء، نفس الأجواء الخانقة المقلقة، نفس الأوجه المتحجرة، نفس الدعوات، نفس الأنين، نفس الآلام، طوال الليل أسمع دوي الرصاص متبوع بالرشاشات المتواصلة.[32]

6. حصيلة أسابيع القتل:

لم تقم صحيفة المساواة بتقديم رقم مضبوط حول عدد الضحايا الجزائريين ولكنها كذبت الأرقام الرسمية وانتقد عبد القادر سفير تصريح وزير الداخلية تكسييه(Adrien Texier) حول الأحداث ـ والذي

[31]Ibid
[32]Ibid.

يمثل أول شخصية رسمية سامية تتعرض لمسألة القمع والضحايا الجزائريين ولو بشكل عابر"فبعد الزيارة التي قام بها في شهر جوان لمناطق الأحداث في الشرق الجزائري وجه خطاب عبر أمواج إذاعة الجزائر في 29 جوان 1945،وبعد اتهامه لأحباب البيان والحرية وحزب الشعب، ذكر أن عدد الضحايا تم تضخيمه في الجزائر وفي فرنسا وفي الخارج، فهناك من تحدث عن 5000، 20000 وحتى 30000 ضحية مسلم لعمليات القمع، وهناك من تحدث عن ملشيات مدنية أنشئت ومحاكم استثنائية قامت بإعدامات جماعية، لحسن الحظ أن عدد ضحايا القمع كان أقل بكثير، السلطات المدنية قدرت العدد ما بين 1200 و1500 ضحية، السلطات العسكرية قدرت عدد الضحايا في المناطق التي مارست عليها حالة الحصار بـ500 ضحية".

وعلق عبد القادر سفير على ذلك: "ذلك المساء كنَّا نستمع للخطاب، ولكن ولا أحد وافق إطلاقا الوزير على رقم 2000 ضحية لقمع سطيف وقالمة الذي قدَّمه فهو جد مقزّم، ورقم 30000 الذي كذَّبه يعدُّ الأقرب إلى الحقيقة؛ وقبل زيارة تكسييه إلى ناحية قسنطينة حدثنا شهود عيان عن 40- 45 وأحيانا 50000 قتيل مسلم، حتى وإن لم نأخذ تلك الأرقام ككلمات الإنجيل يمكن أن نقول وبدون مبالغة أن جرائم النازية المرتكبة من قبل مجرمي الحرب أمام جرائم 8 ماي هي شيء قليل. أكثر من 1000 مسلم قتلوا فقط في ليلتي 11 و12 ماي في الجرف الساحلي بين جيجل وبجاية في مراكز وأرياف كافالو، المنصورية، سوق الاثنين، واد مرسى، المدمرة من قبل عدد من السفن الحربية خصوصاً الطراد ديقي تروين(Duguay Trouin).[33].

وذكرت المساواة بعد عامين من الأحداث: " في الانتخابات العمالية التي جرت مؤخراً في دائرة سطيف حيث فاز مدير جريدتنا(فرحات عباس) بالأغلبية الساحقة من الأصوات المعبرة، مع تسجيل عدد كبير من الذين لم يصوتوا، تمكننا من الوصول إلى نتيجة من خلال تحقيق عميق حول الآلاف من ناخبي المجمع الانتخابي الثاني، وكيف أن الإدارة الاستعمارية لأجل تغطية جرائمها قامت باعتبار أصواتهم تمثل مقاطعة إرادية، وهم في الحقيقة كانوا بكل بساطة موتى لا يزالون مسجلين في القوائم الانتخابية المزورة.[34] بول روبو(Paul Reboux) وهو صحفي يميني في كتابه "إفريقيتنا الشمالية وبعنوان فرعي الحقيبة أو التابوت"، اعترف بأن 12000 مسلم قتلوا في واد سيبوس[35].

الإدارة العليا التي إلى حد الآن تقوم بتراكم الأدلة الإجرامية معطية في ذلك الدلائل على تواطؤها، العديد من الدواوير والقرى والأحياء نهبت ودمرت في ضواحي سطيف وقالمة الشهيدة، سقط الآلاف من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال الأبرياء. تم الإعلان عن حل الميلشيا لإيقاف إراقة الدماء، ولكن لا يوجد شيء دقيق في هذا الموضوع، فبعد مدة طويلة من استعادة النظام هؤلاء الخارجين عن القانون أسسوا ثروات باستخدام القوة وصرح عضو في حزب تجمع الشعب الفرنسي(RPF):"**عرق سافل sale)**

[33]Egalité, 09 Septembre 1947.
[34]Ibid.
[35]Ibid.

(race قتلناكم بالجملة ولا تزالون، ولكن لم ينته الأمر". بينما ذكر البرلماني الاستعماري بول كيطولي أمام الجمعية التأسيسية في 29 جوان 1945 "القمع كان عنيفاً ومبالغ فيه خصوصاً في ناحية قالمة امتثالاً لأوامر رئيس دائرة هذه المدينة الحرس المدني أنشئ بالاتفاق الكامل مع السلطة العسكرية ورئيس البلدية ومسيري المجموعات المقاومة والقدماء المحاربين، أهالي جمعوا في السجن المدين انتزعوا من حراسهم وقتلوا رمياً بالرصاص، " وسجناء فقعت عيونهم وبترت أعضاء من أجسادهم واشربوا القريزيل باسم الحضارة الغربية[36].

7. تقييم:

تقدم هذه الشهادة المعاصرة لمذابح ماي 1945 والتي أدلى بها صاحبها سنتين بعد وقوعها تفاصيل دقيقة حول كرونولوجيا الأحداث، وعمليات التعذيب وحرق الجثث بعد رشها بالبنزين، وتنقل لنا صورة حية للأماكن التي كانت مسرح للمجازر مع ذكر التاريخ والساعة بالضبط، كما تعطي لنا تفاصيل دقيقة حول هوية القتلة والمقتولين، وتنقل لنا مشاهد للحوارات التي كانت تجري بين الجلادين والضحايا، كما تعطي لنا صورة لطريقة عمل أجهزة القمع الاستعماري وكيفية التنسيق بين مصالح الدرك والشرطة والمليشيا، مثل تحول مقر الدرك لمكان لمحكمة الإعدام التي نظمتها المليشيا.

وتبين الشهادة كيف أنّ الأحداث لم تكن مجرد اشتباكات بين متظاهرين أدت إلى قتلى بين طرفين(مثلما صورت بعض الكتابات في ذلك الحين)، بل إنّها كانت حرب من جانب واحد، استخدمت خلالها مختلف الأسلحة بما في ذلك الطيران والبحرية، حيث تم قصف الأحياء العربية، وبذلك كانت حرب شاملة شاركت فيها مختلف الوحدات من جيش ودرك وحرس وشرطة، أضيفت إليها المليشيا المشكلة من المسؤولين الاستعماريين والمدنيين المعمرين، وقامت تلك القوات المختلفة بتجميع المئات من الجزائريين في معتقلات اكتظت بالسجناء، فامتلئ السجن المدني والسجن العسكري ومقر الكشافة وساحة الدرك. وبالتالي لم يكن القمع مجرد مسألة حفظ الأمن، بل كان أعمال انتقامية تغذيها روح عنصرية للمعمرين ضد الجزائريين، لم تحترم خلالها أدنى الأخلاق في مسألة معاملة المعتقلين، ولم تكن هناك أية قاعدة أخلاقية أو قانون يضبط عمليات القتل الجماعي. وبالرغم من أن مدينة قالمة كانت تتوفر على محكمة ابتدائية، إلا أنّ القانون جُمِّد خلال الأحداث، ومنع تطبق قانون غير قانون الموت من قبل المسؤول الأعلى عن دائرة قالمة أندري أشياري.

استهدفت المذبحة بشكل خاص المسؤولين الوطنيين في قسمة حزب أحباب البيان الذي كان يضم 12000 منخرط، وكان الاعتقال والقتل يتم بمجرد حمل نفس لقب أحد قادة حزب البيان (واترسي)، أو لمجرد وجود روابط عائلية معه.كما استهدف فرع الكشافة الإسلامية وبعض أعيان المدينة من البورجوازية الجزائرية المثقفة والمتعاطفة مع الحركة الوطنية(عائلة رقّي)، وهذا الأمر تكرر أيضا في مناطق أخرى

[36]Egalité, 03 Octobre 1947.

من الجزائر شهدت القمع بشكل مماثل مثل خراطة، حيث قتل الطبيب محند أعراب حينوز وأبنائه الثلاثة، بينما نجا الرابع لأنه كان لا يزال مجنداً في الحرب.

تظهر الشهادة بوضوح المسؤولية الكاملة للقادة الاستعماريين في عمالة قسنطينة وعلى رأسهم الوالي ليسترادكاربونيل والجنرال دوفال القائد العسكري للناحية القسنطينية، الذين زارا قالمة في 12 ماي 1945 وحرضا الملشيات على الاستمرار في ممارسة القتل، كما تظهر مسؤولية القادة المحليين وعلى رأسهم أشياري رئيس دائرة قالمة وعمدة بلدية قالمة وبلدية بوتي ومسؤلين عن النقابات والأحزاب اليمينية واليسارية وأعوان وقادة الدرك والشرطة والحرس، والأكثر من ذلك تقدم الشهادة أسماء قادة المليشيا وأفرادها والأعمال الإجرامية التي اقترفوها.

كل ذلك كفيل بإدانتهم لاقترافهم مجازر في حق مدنيين عزل من السلاح، ومعتقلين لا حول ولا قوة لهم.ورغم نشر هذه الشهادة في صحيفة المساواة في سنة 1947 والتي تتهم بشكل صريح مسؤولين في الإدارة الاستعمارية(بأسمائهم)، وذلك ما نقرؤه في افتتاحية المقال الأول الذي جاء فيه:"في قالمة كما في غيرها من المناطق لم يكن أحباب البيان هم الذين تسببوا في اضطرابات القتل، خلافاً لما نسمعه من قبل الاستعماريين وأقلامهم، المسؤلين عن انفجار الاضطرابات هم ليسترادكاربونيل والي قسنطينة والقتال أشياري محافظ الشرطة السابق ومعذب الشيوعيين الجزائريين زمن حكم فيشي".[37]

لم تقم السلطات الاستعمارية المدنية والعسكرية بتكذيب تلك الرواية، ولم تقم الجهات القضائية والأمنية بالتحقق من صدقها باعتبارها تحمل حقائق مرعبة واتهامات خطيرة وتدين بشكل واضح أشخاص كانوا لا يزالون يزاولون نشاطاتهم ويمارسون مسؤولياتهم داخل أجهزة النظام الاستعماري. ورغم كتابات الصحف الوطنية ومطالب النواب الوطنيين في مختلف المجالس وإدانتهم العلنية للمسؤولين الاستعماريين ودعواتهم لإحالتهم على المحاكم بعد فتح تحقيق معمق حول الأحداث، ورغم مئات الشكاوى التي قدمتها العائلات القالمية حول أفرادها المفقودين في ظروف غامضة خلال الأحداث، إلا أنّ كل ذلك لم يحرك السلطات العليا ولا القضاء ولا البرلمان لإرسال لجنة لفتح تحقيق جدي يسلط الضوء على تلك الأحداث التي لا يزال يلفها الكثير من الغموض وتثير الكثير من الكلام إلى اليوم. هذا ما يدل على تواطؤ السلطات الفرنسية مع القتلة ونيتها في حجب حقائق حمام الدم الذي غرق فيه 45000 جزائري خلال شهر ماي 1945، ورفضها تطبيق العدالة، وإلى اليوم لا تزال تتنكر لجرائم نظامها الاستعماري بالجزائر.

8. خاتمة:

عاش سكان مدينة قالمة من الجزائريين طوال شهر ماي 1945 أوقات مرعبة من القتل العنصري، والإبادة لمجرد كونهم جزائريين، وكان ذلك القتل ممنهجاً تحت وصاية السلطات المدنية والعسكرية، ومنظماً تحت مسؤولية الحكومة الفرنسية، وذلك ما يضفي على الأحداث طابع مسؤولية الدولة الفرنسية، حتى الجنرال ديغول الذي كان على رأس الحكومة المؤقتة، دعا من باريس لقمع ما أسماه "بالأقلية

[37]Egalité, 15 Aout1947.

المحرضة"، ذلك ما جعل الحرب التي انتهت في أوربا تبدأ في الجزائر، ولكن كانت حرب من جهة واحدة، وضد شعب أعزل من السلاح ومن دون دفاع، تلك الحرب شاركت فيها مختلف القوات بما فيها البحرية والجوية، وتم استدعاء التعزيزات حتى من تونس والمغرب. وقد استهدف استعمال أقصى أشكال القوة، تحقيق أحس النتائج(عسكرياً) في أقصر الآجال. ونتيجة تجنيد المدنيين المعمرين في صفوف الميلشيات ومشاركتهم في القتل الجماعي للجزائريين ورميهم في الأفران الحارة لهيليوبوليس، كل ذلك زاد من اتساع هوة الخندق الذي يفصل بين المجموعتين السكانيتين، وكان ذلك نذير ببداية النهاية بالنسبة لعمر الاستعمار في الجزائر

الملاحق:

EGALITE

DES HOMMES -- DES PEUPLES -- DES RACES

ORGANE DU MANIFESTE DU PEUPLE ALGÉRIEN

8 MAI 45 - 8 MAI 47

MISE AU POINT

الوثيقة(1) تحقيق جريدة المساواة " Egalité " حول أحداث 8 ماي1945

Egalité, 15 Aout1947.

Comment le colonialisme provoque puis réprime

La tragédie du 8 Mai à Guelma

(VII). - Où le sang des Musulmans coule à flots

Un reportage d'A. SAFIR

الوثيقة(2) تراجيديا 8 ماي 1945 بقالمة حسب جريدة المساواة

Egalité, 15 Aout1947.

Le 8 MAI 1945
Des hommes connus
se sont servis de la force armée
contre des populations innocentes
« Il ne faut pas que le voile épais qui recouvre certaines forfaitures laisse supposer qu'en Algérie on peut impunément commettre des crimes odieux et récidiver »

الوثيقة (3) تكوين الميلشيا في قالمة
Egalité, 12 Septembre 1947.

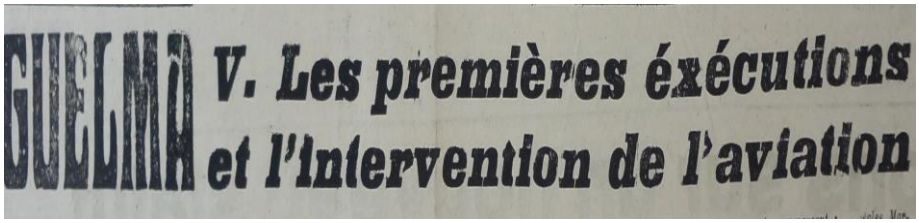
GUELMA V. Les premières éxécutions et l'Intervention de l'aviation

الوثيقة (4) : قصف الطيران الفرنسي لقرى قالمة
Egalité, 09 Septembre 1947.

قائمة المصادر و المراجع:

1-المصادر الأرشيفية :

- ANOM (Aix En Provence), 8CAB/98. Préfecture d'Alger, centre d'informations et d'études.

2-المصادر المكتوبة (الصحافة) :

- Egalité, 22 Septembre 1944.
- Egalité, 10 Novembre 1944.
- Egalité, 28 Septembre 1944.
- République algérienne, 25 juin 1948.
- Voir République algérienne, le N°221 du 8 avril 1948, et le N°268 du 8 juin 1951 (éditorial).
- Expression, 21. Avril 2003, hommage à Abdelkader Safir le précurseur.
- Egalité, 15 Aout1947.
- Egalité, 22 Aout1947.
- Egalité, 12 Septembre 1947.
- Dépêche de Constantine, 12 05 1945.
- Egalité, N° 92, 29 Aout1947.
- Egalité, N° 92, 29 Aout1947.
- Voix Indigène, 12 9 1947.
- Egalité, 09 Septembre 1947.
- Egalité 12 septembre 1947.
- Egalité, N°94, 12 Septembre 1947
- Egalité, 09 Septembre 1947.
- Egalité, 26 Septembre 1947.
- Egalité, 09 Septembre 1947.
- Egalité, 03 Octobre 1947.

- Egalité, 15 Aout1947.